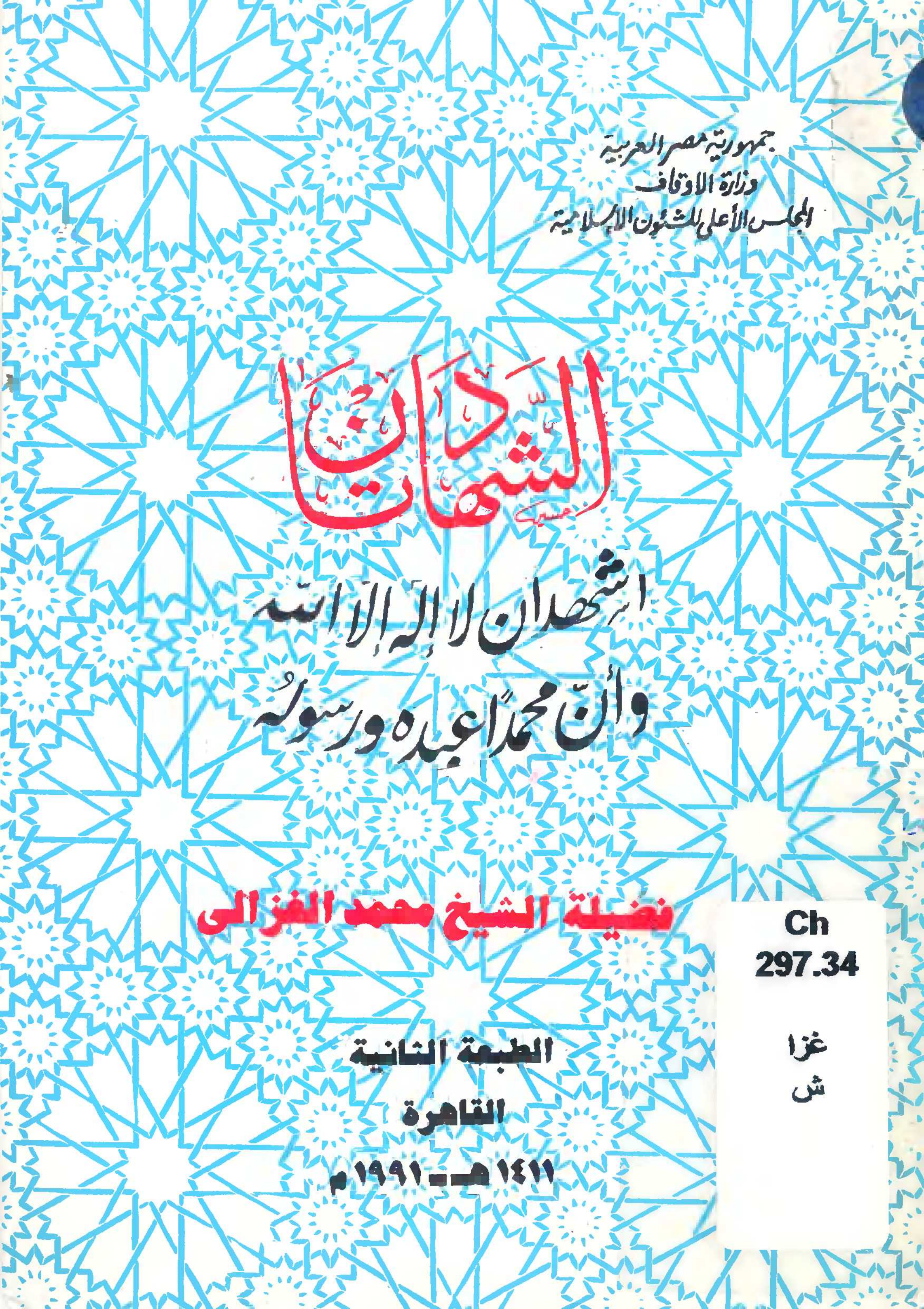


جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

الشهادتان

أشهد أن لا إله إلا الله
وأن محمداً عبده ورسوله

فضيلة الشيخ محمد الغزالى

الطبعة الثانية
القاهرة
١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

الشهادتان
التوحيد و النبوة

الشيخ



الطبعة الثانية
القاهرة
١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

اهداءات ٢٠٠١

ا.د. محمود دياب

جراح بالمستشفى الملكى المصرى

بسم الله الرحمن الرحيم

الشهادتان

لا اله الا الله .. محمد رسول الله

النطق بهما ، ثم التعرف على ماتدلان عليه هو أولى معالم الطريق الى دخول الانسان فى دين الله .. الاسلام

ولأن ((الشهادتين)) ليستا سوى كلمات فقد كان من الضرورى والمفيد معاً أن يتولى الراسخون فى العلم شرح مضمونهما وتعريف من ينطقهما بما تدلان عليه .

وقد كانت الكلمتان على بساطتهما وقلة الفاظهما مثار جدل طويل وتدافع لم ينقطع بعد بين دعاة الفكر المادى الذين ينكرون أن للكون الها خلق فسوى وقدر فهدى والذين يزعمون أن الوجود أنشأ نفسه أو قام على ((الصدفة)) وبين دعاة الايمان الذين استقامت فطرتهم فشعروا بهديها أن لهذا الكون خالقا أعظم أحكم صنعه وتدبيره ، ثم كانت رسائل السماء وفى قمتها الرسالة الخاتمة بالقرآن الكريم مدداً ربانيا علمهم مالم يكونوا يعلمون ووضع بين ايديهم من دلائل وجود الخالق وتفرده بالهيمنة المقتدرة على الكون كله مافيه ومن فيه فأدركوا وعلموا واستيقنوا فآمنوا ، ولم يلبثوا ايمانهم بشك ولا ريبة

وهذا الكتاب الذى يقدمه المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بجمهورية مصر العربية انما هو دليل من أدلة الفقه الصحيح لقضية التوحيد تعرض فى بساطة رائعة بساطة العقيدة الدينية كما يراها الاسلام بعيداً عن جحود ((الماديين)) وتعقيدات المتشددين ، نرجو أن يكون فيها التصور السهل لهذه القضية التى عقدها المحدثون والمتفلسفون ، بينما أدركها البدوى بفطرته حين نظر فى ((الخلق)) فقال ((كل الخلق لابد لهم من خالق)) .

والله ولى التوفيق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ .

لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ .

((صدق الله العظيم))

الله

هذا الاسم الكريم علم على الذات المقدسة التى نؤمن بها ونعمل لها ، ونعرف أن منها حياتنا واليها مصيرنا .

والله ـ تبارك وتعالى ـ أهل الحمد والمجد ، واهل التقـوى والمغفرة .. لا نحصى عليه ثناء ، ولا نبلغ حقه توقيرا واجلالا .

لو أن البشر منذ كتب لهم تاريخ ، والى أن تمهد لهم على ظهر الأرض حركة ـ نسوا الله وكفروا به ، ما خدش ذلك شيئا من جلاله ، ولا نقص ذرة من سلطانه ، ولا كف شعاعا من ضيائه ، ولا غض بريقا من كبريائه ، فهو ـ سبحانه ـ أغنى بحوله وطوله ، وأعظم بذاته وصفاته ، وأوسع فى ملكوته وجبروته من أن ينال منه وهم واهم ، أو جهل جاهل .

ولئن كنا فى عصر عكف على هواه ، وذهل عن أخراه ، وتنكر لربه فان ضير ذلك يقع على أم رأسه ، ولن يضر الله شيئا .

((ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد . كتب عليه أنه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عـــذاب السعير)) .

الألوهية فى القرآن

والحديث عن الله ــ تباركت أسماؤه ــ يتخذ فى القرآن أسلوبا قريبا من الفطرة ، سريعا الى العقل ، بعيدا عن الغموض والتعقيد ، مفعما بالوضوح والاشراق .

وهذا الحديث يقوم على تعريف الله لخلقه بأوصافه وأفعاله :

الله خالق كل شىء .

الله نور السموات والأرض .

الله على كل شىء قدير .

له مقاليد السموات والأرض .

له ما سكن فى الليل والنهار .

له الخلق والأمر .

ان الله كان سميعا بصيرا .

ان الله كان على كل شىء حسيبا .

ان الله كان بما تعملون خبيرا .

وفى أثناء هذا التعريف السهل اليسير تجد القرآن ينفى أوهاما علقت بأذهان الجاهلين عن حقيقة الألوهية ، وهى أوهام لاسناد لها من العقل المجرد ، ولا من الوحى الأعلى .

لقد خرقها القاصرون دون وعى ، وقبلها المقصرون دون نقد ، ثم شاعت بين الجماهير على انها عقائد دين ، وهى ليست الا خرافات خابطين ، وظنون مقلدين .

فعند البعض ان لله بنات يشاركنه الالومية ، وعند بعض
أنه انجب أبنا وحيدا كما يقول النصارى ، أو عدة أبناء كما
غيرهم ، كلهم آلهة أو أبناء آلهة « .. **وخرقوا له بنين وبنات**
علم سبحانه وتعالى عما يصفون . بديع السموات والأرض
ئون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء
. ذلكم الله ربكم لا آله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على
يء وكيل » .

اثبات الوحـــدانية

وقد طال فى القرآن الكريم الكلام فى اثبات الوحدانية ، ودفع
شائبة تنسب الشركة الى الألوهية ، وأطرد حجـاج الاسـلام
هذه القضية ، حتى عدها قضيته الأولى .

ولا جرم أنها أساس الاسلام ولواؤه ، ومادة القرآن ورواؤه .
لم يوقن بأن العالم كله من فيه وما فيــه من المســتقدمين
متأخرين عبيد لله ، خلقهم بقدرته ، ولو شاء ما خلقهم . ورباهم
ته ، ولو شاء لتركهم ، ورفع من شاء بفضله ، ولو شــاء
، به .

وشيء آخر ينضح به الحديث عن الألوهية فى القرآن — وهو
الحقيقة جزء من عقيدة التوحيد — ان الخالق غير المخلوق ، وأن
غير العالم ، وأنه لا مجال لفكرة الحلول البتة فى تعاليم الاسلام .

وفكرة حلول الله فى هذا العالم أو فى جزء منه سخافة هندية
مة ، لو ظلت هندية فقط لماتت فى موضعها من تلقاء نفسها ،
مات كثير من أفكار الهنود .

يبد أنها انتقلت الى بعض الاديان ، فقدرت لها حياة جديدة

فكرة الحلول :

قرأت فى مقرر الفلسفة لطلبة جامعة عين شمس كلية الأداب تحت عنوان « مشكلة الله » مايأتى .

الحق أن هناك تصورين مختلفين لحقيقة الله تقدمهما لنا الأديان .. فبعض الأديان تتصور الله على أنه موجود وجودا متعاليا على هذا الكون غير باطن فيه ، والبعض الآخر يتصوره على أنه مباطن للكون والانسان معا ، والاسلام هو صاحب التصور الأول لله ، أما المسيحية : فهى صاحبة التصور الأخير .

الله فى الاسلام « **عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال** » .

يقول الغزالى : مستو على العرش استواء منزه عن المماسة والاستقرار ، بائن عن خلقه بصفاته ، مقدس عن التغير والانتقال ،

أما اله المسيحية : فهو اله باطن فى الكون ممتزج بهذى الحياة، يقول انجيل يوحنا :« أنى أنا حى فأنتم ستحيون . فى ذلك اليوم تعلمون أنى أنا فى أبى ، وأنتم فى ، وأنا فيكم » .

وتصور المسيحيين لله ، لا يتم الا بنزوله الى مملكة الأرض فى لحظة مختارة من الزمان ، وحلوله فى الناسوت فى صورة المسيح عيسى . وهذا لا يتم الا بحضور الله فى الطبيعة ، وباخضاع حركتها لحركته وبحلوله فضلا عن ذلك فى الجسد البشرى وامتزاجه بالدم الانسانى .

وغنى عن البيان أن الاسلام يعتبر هذا الكلام أخيلة سقيمة . وينزه العقل البشرى عن قوله وعن قبوله ، ويقصيه اقصاء تاما عن مجال النظر بأنه مجال الاعتقاد .

والكلام عن تسبيح الله وتحميده ، وتنزيهه وتوحيده ، انما يجيء عقب الاعتراف بوجوده .

ولما كان وجود الله بديهة ينساق اليها العقل كما ينساق التيار الى قراره ، فان القرآن الكريم لم يكترث بشبهات الملحدين اكتراث من يحارب فى معركة عنيفة المقاومة ، بل تصدى لدحض هذهالشبهة كما يتصدى الفيلسوف لتعليم صبيته ، ومسح ماعلى أذهانهم من غشاوة .

والواقع ان الكافرين بالله يقعون فى متناقضات عقلية تصرخ بشدة الغباء ، أو شدة الجمود .

هل العالم وجد صدفة ؟

فهم يزعمون أن هذا العالم وجدت مادته صدفة ، ودبتالحياة فيها صدفة ، وتماسك نظامها صدفة .

ولو قلت لأحدهم : أن طيارة تجمعت آلاتها ، ودارت محركاتها وانسكب البنزين فى خزاناتها ، وصعدت فى الجو ثم انطلقت فى الفضاء ، كل ذلك من غير جهد انسان ، ولا تدخل أحد أبدا .. لنسبك الى الهزل أو الجنون .

ومع ذلك فهو يريد ان يقول لنا أن القمر مثلا يجرى فىالفضاء من تلقاء نفسه لا تحمله قدرة ، ولا تسيره ارادة ، ثم يطلب منا باسم العقل أن نصدق هذا الهزل أو هذا الحمق .

والكافرون بالله هم أولئك الذين شبههم القرآن بالعجماوات وبالدواب الصم والبكم الذين لا يعقلون من الذين يثرثرون بالعلم، ولا مكان لهم فيه ، ولا جدوى لهم منه .

وقد تتبعت حصيلة هؤلاء من الثروة العلمية ، خصوصاملاحدة مصر ، فوجدتهم يكفرون على صيت تقدم العلم فى أوروبا وأمريكا .

وقد ترسل لنا مصانع الغرب مرصدا لمشاهدة النجوم فيجىء أولئك لينظروا ثم يصيحوا على أثر المشاهدة : كفرنا بالله رب العالمين .

وقد تطير روسيا قمرا صناعيا بذل العلماء هناك فى ضبطه وتجهيزه وتزويده ما يضنى العقول ، وما يدل على أن تطيير القمر الطبيعى يستحيل أن يجىء خبط عشواء ، ومع ذلك ينفرج نفر من الصحفيين منا على هذه المشاهدة ثم يصيحون : ثبت انه لا اله .

وصدق الله العظيم : ((ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير)) .

وجـود الله

وجود الله تعالى من البداهات التى يدركها الانسان بفطرته ، ويهتدى اليها بطبيعته وليس من مسائل العلوم المعقدة ، ولا من حقائق التفكير العويصة .

ولولا أن شدة الظهور قد تلد الخفاء ، واقتراب المسافة جدا قد يعطل الرؤية ، ما اختلف على ذلك مؤمن ولا ملحد .

((أفى الله شك فاطر السموات والأرض)) .

وقد جاءت الرسل لتصحيح فكرة الناس عن الألوهية .

فانهم وأن عرفوا الله بطبيعتهم الا أنهم أخطأوا فى الاشراك به ، والفهم عنه .

« هذا بلاغ للناس ولينـــذروا به وليعلمـــوا انمـا هو الـه واحد » .

« فأعلم أنه لا اله الا الله واستغفر لذنبك » .

والبيئة الفاسدة خطر شديد على الفطرة ، فهى تمسخها وتشرد بها ، وتخلف فيها من العلل ما يجعلها تعاف العذب وتسيغ الفج .

وذاك سر انصراف فريق من الناس عن الايمان والصـــلاح ، وقبولهم للكفر والشرك ! مع منافاة ذلك لمنطق العقــل وضرورات الفكر وأصل الخلقة .

« وانى خلقت عبادى حنفاء كلهم فأتتهم الشياطين فاجتالتهـم عن دينهم وحرمت عليهم ما حللت لهم » .

وقد اقترنت حضارة الغرب ـ التى تسود العالم اليوم ـ بنزوع حاد الى المماراة فى وجود الله ، والنظر الى الأديان جملـة نظرة تنقص ، أو قبولها كمسكنات اجتماعية لانصارها والعاطفين عليها ؟ .

ولاشك ان المحنة التى يعانيهـا العالـم الآن أزمة روحيـــة ، منشؤها كفره بالمثل العليا التى جاء بها الدين ـ من الحق والانصاف والتسامح والأخاء ـ فلا نجاة له مما يرتكس فيه الا بالعودة الى هذه المثل ، يهتدى اليها بفطرته ، كما يهتدى سبيله الجنين فى ولادته ، والفرخ فى بيضته !

ومنى هدى العالم الى الفطرة ، هدى الى الاسلام ، فان الاسلام هو دين الفطرة والاسلام يقوم ـ بداهة ـ على التصديق بوجود الله ويعد الايمان به محور شرائعه .

وفى القرآن الكريم عشرات الأدلة التى ترســـخ فى العقـــل والضمير هذه الحقيقة ، وتجعل المسلم يحيا فى نطاق من الشعور

التام بها . ولأحد العلماء كلام لطيف فى حصر الفروض الخاصة بهذا الموضوع نوجزها هنا .

قال : انه احتمال واحد من أربعة احتمالات لا خامس لها ..

الأول : أن يكون الوجود كله وهما : سواء فى ذلك عالمنا المحسوس أو ماوراءه مما يغيب عنا .. أى أن الأرض التى نمشى فوقها والقاطرات التى نركبها مثلا خيال فى خيال .

وهذا الاحتمال قال به فلاسفة قدامى ومحدثون !

وهو احتمال سخيف ينبغى أن نصرف النظر عنه .

الثانى : أن يكون العالم حقيقة وجدت من تلقاء نفسها بعد عدم محض ، فكانت بعد أن لم تكن دون أى مؤثر خارجى !

وهو احتمال لا يقل سخفا عن سابقه .

والقول به الغاء لقانون الاسباب والمسببات ، وهدم لجميع القواعد التى يقوم عليها العلم ، وتسير بها الحياة .

الثالث : أن يكون العالم مادة قديمة ، ليس لوجودها أول ولا انتهاء ، تنشأ عنها صنوف الخلق بأساليب طويلة المراحل معقدة الشرح !

وهذا الاحتمال يجعل الكون فاعلا ومنفعلا فى وقت واحد !

أو هو ينظر مثلا الى القصر المشيد ، ثم يخلع على جدرانه جميع صفات العبقرية والدقة والمهارة التى ينبغى أن تنسب الى المهندس، لا الى الرمل والطين والسقوف والنوافذ .

هذا الاحتمال يتصور الكمال الغير المتناهى ، المتضمن للقدم الأزلى ، والبقاء الأبدى ، والحكمة العالية ، والعلم الشامل ،. ثم

ينسب هذه الأوصاف مثلا للتراب الذى ندوسه ، أو الهـواء الذى نستنشقه ، بوصفهما يخلقان ويعدمان !

والعقل الانسانى اذا أيقن بأن انبات الزرع ــ على الصورة التى نراها ــ يحتاج الى توفر صفات معينة ، فان هذه الصفات من قدرة ومشيئة ، لا يجوز أن تنسب الى الطين والماء .

بل البداهة الأولى توجه هذه النسبة الى كائن غيرهما .. فلم يبق الا الافتراض الرابع .

وهو وجود الله جل شأنه ..

ان هذا الاحتمال العقلى الرابع هو التفسير الوحيد الصحيح لقصة الخليقة او هو ــ كما عبر البعض ــ أجدر هذه الاحتمـالات بالقبول والاحترام ..

ومن السخف بمكان ان تحاول اقناعى بأن الجنين فى بطن أمه يتكون تحت اشراف هذه الأم ، أو بمساعدة الأب ، أو بأعمـال متعمدة مقصودة من الأجهزة المستكنة بين البطن والصدر ، تولى بعضها صناعة العين ، والآخر صناعة الأذن وهكذا .

لا .. لا .. لا .. ((قل : الله ، ثم ذرهـم فى خوضـهم يلعبون)) .

((ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم ، الذى أحسن كل شىء خلقه وبدا خلق الانسان من طين ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ، ثم سواه ونفخ فيه من روحه ، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون)) .

أدلـة الـوجـود

ولا بأس من سوق طائفة من الأدلة التى تفتق الذهن الغافل فيبصر بها ويلتفت لما وراءها .

(أ) ان الانسان لم يخلق نفسه ، ولم يخلق أولاده ، ولم يخلق الأرض التى يدرج فوقها ، ولا السماء التى يعيش تحتها .

والبشر الذين ادعوا الألوهية ، لم يكلفوا أنفسهم مشقة ادعاء ذلك .

فمن المقطوع به أن وظيفة الخلق والابراز من العدم لم ينتحلها لنفسه انسان ولا حيوان ولا جماد .

ومن المقطوع به كذلك ، أن شيئا لايحدث من تلقاء نفسه . فلم يبق الا الله !.

وقد قرر القرآن الكريم هذا الدليل :

((أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون . أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون)) .

ويلفت انظار العرب الى مظاهر الابداع فى المجتمع الساذج الذى يحيون فيه :

((أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت ، والى الأرض كيف سطحت)) .

ويسمى هذا الدليل دليل الابداع .

(ب) لو دخل المرء دارا ، لوجد بها غرفة مهيأة للطعام ، وأخرى للمنام ، وأخرى للنظافة ، وأخرى للضيافة .. الخ ، لجزم

بأن هذا الترتيب لم يتم وحده ، وأن هذه الاعداد النافع لابد قدنشأ عن تقدير وحكمة ، وأشرف عليه فاعل يعرف ما يفعل .

والناظر في الكون وآفاقه ، والمادة وخصائصها ، يعرف أنها محكومة بقوانين مضبوطة شرحت الكثير منها علوم الطبيعة ، والكيمياء والنبات والحيوان والطب ... وأفادت منها الناس أجمل الفوائد .

وما وصل اليه علم الانسان من اسرار العالم ، حاسم في ابعاد كل شبهة توهم انه وجد كيفما اتفق .

كلا . ان النظام الدقيق المختفي في طوايا الذرة مطرد فيما بين افلاك السماء الرحبة من أبعاد :

((تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيهاسراجا وقمرا منيرا ، وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا)) .

((الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون . وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه أن فى ذلك لايات لقوم يتفكرون)) .

وفي القرآن الكريم آيات شتى ، تقرر هذا الدليل ، **ويسمى** دليل العناية .

(ج) هل فكرت في هذه السيارات المنطلقة — أعني هذه الكواكب التي تخترق أعماق الجو — والتي تلتزم مدارا واحدا لا تنحرف عنه يمينا ولا يسارا ، وتلتزم سرعة واحدة لا تبطيء فيها ولا تعجل . ثم نرتقبها في موعدها المحسوب فلا تختلف عنه أبدا ؟

.. ان الكرة تنطلق من أقدام اللاعبين ثم لا تلبث أن تهوى بعد تحليق .

اما هذه الكرات الغليظة الحجم ، الحى منها والميت . المضيء منها والمعتم فهى معلقة لا تسقط .. سائرة لا تقف ..! كل فى دائرته لايعدوها .

وقد يصطدم المشاة والركبان على أرضنا وهم أصحاب بصر وعقل .. أما هذه الكواكب التى تزحم الفضاء فأنها لا تزيغ ولا تصطدم .

((والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون)) .

من هيمن على نظامها وأشرف على مدارها ؟ بل من الذى امسك باجرامها الهائلة ، ودفعها تجرى بهذه القوة الفائقة ؟

أنها لا ترتكز فى علوها الا على دعائم القدرة .. ولا تطير الا بأجنحة أعارها لها القدير الأعلى .

((أن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليما غفورا)) .

أما كلمة الجاذبية فدلالتها العلمية كدلالة حرف (س) على المجهول ، انها رمز لقوانين تصرخ باسم الله ، لكن الصم لايسمعون، ويسمى هذا الدليل دليل الحركة .

(د) لاشك أن لوجود كل واحد منا بداية معروفة .

فنحن قبل ميلادنا لم نكن شيئا يذكر : **((هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا)) .**

وعناصر الكون الذى نعيش فيه كذلك ، لها بداية معروفة

وعلماء الجيولوجيا يقدرون لها اعمارا محدودة ، مهما طالت فقد كانت قبلها صفرا .

وكان هناك ظن بأن المادة لاتفنى ، اعتمد عليه فريق من الناس في القول بقدم العالم ومايتبع هذا القدم الموهوم من أباطيل .

على أن تفجير الذرة هدم هذا الظن ولو لم يتم تفجيرها ماقبلنا هذا الظن على أنه حقيقة ثابتة . فان المفتاح الذى يفتح على العالم ابواب الفناء ، ليس من الضرورى ان يضعه الله فى أيدى العلماء .

وعدم اهتداء الناس الى ما يدمر مادة الكون ، لا يعنى ان مادة الكون غير قابلة للدمار والفناء .

ولم لا يكون ذلك حصانة ، اقامها القدر الأعلى ، حتى يمنع العالم من الانتحار ؟

اننا جازمون بأن وجودنا محدث لأن تفكيرنا وأحساسنا يهدينا لذلك .

وغير معقول أن يتطور العدم الى وجود تطورا ذاتيا .

انه اذا وقعت حادثة لم يدر فاعلها .. قيل : أن الفاعل مجهول ولم يقل أحد قط : انه ليس لها فاعل .. فكيف يراد من العقلاء أن يقطعوا الصلة بين العالم وربه ؟ اننا لم نكن شيئا فكنا .

فمن كوّننا ؟ « **قل الله ، ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون** » ويسمى هذا دليل الحدوث .

ماقاله علماء الغرب

وقد شرح « لابلاس » دليل الحركة الكونية ، وأبان قوة هذا الدليل فى حسم الشبهات التى يثيرها الجاحدون فقال :

« أما القدرة الفاطرة فقد عينت جسامة الاجرام الموجودة فى المجموعة الشمسية وكثافتها ، وثبتت اقطار مداراتها ، ونظمت

حركاتها بقوانين بسيطة ، ولكنها حكيمة ، وعينت مدة دوران السيارات حول الشمس ، والتوابع حول السيارات بأدق حساب ، بحيث أن هذا النظام المستمر الى ماشاء الله لا يعروه خلل .

هذا النظام المستند الى حساب يقصر عقل البشر عن ادراكه والذى يضمن استمرار واستقرار المجموعة ازاء ما لا يعد ولا يحصى من المخاطر المحتملة ، لايمكن أن يحمل على المصادفات فى نظر « لابلاس » الا باحتمال واحد فى أربعة تريوليونات .

وما أدراك ما أربعة تريوليونات ؟ انه عدد من كلمتين ولكن لا يمكن أن يحصيه المحصى الا اذا لبث خمسين ألف عام ، يعد الأرقام ليلا ونهارا على أن يعد فى كل دقيقة ١٥٠ عددا .

وقال سبنسر :

« اننا مضطرون الى الاعتراف بأن الحادثات مظاهر قدرة مطلقة متعالية عن الادراك . وأن الأديان كانت أول من قبل هذه الحقيقة العلوية ولقنها . ولكنها نشرت أول الأمر ممزوجة بالأباطيل ». **وسبنسر هذا غير متدين .**

وكتب « كميل فلامريون » فى كتاب « الله فى الطبيعة » يقول :
« اذا انتقلنا من ساحة المحسوسات الى الروحانيات . فان الله يتجلى لنا كروح دائم موجود فى حقيقة كل شيء .

ليس هو سلطانا يحكم من فوق السموات ، بل نظام مستتر مهيمن على كافة الموجودات !

ليس مقيما فى جنة مكتظة بالصلحاء والملائكة ! بل ان الفضاء اللانهائى مملوء به .

فهو موجود مستقر فى كل نقطة من الفضاء ، وفى كل لحظة

من الزمان ، او بتعبير أصح : هو قيوم لانهـــائى منزه عن الزمان والمكان ، والتسلسل والتعاقب .

ليس كلامى هذا من جملة ماوراء الطبيعة المشكوك فى صحتها ، بل من النتائج القاطعة التى استنبطت من القواعد الثابتـة للعلم . كنسبية الحركة ، وقدم القوانين .

ان النظام العام الحاكم فى الطبيعة ، وآثار الحكمة المشـهورة فى كل شىء ، المنتشرة كنور الفجر وضياء الشفق فى الهيئة العامة ، لاسيما الوحدة التى تتجلى فى قانون التطور الدائم ، تدل على أن القدرة الالهية المطلقة هى الحوافظ المستترة للكون ، هى النظـام الحقيقى ، هى المصدر الأصلى لكافةالقوانين الطبيعية وأشـكالها ومظاهرها » .

والقائل فيلسوف ينكر اليهودية والنصرانية ، ولا يعـــرف الاسلام ولكنه يعرف الله الواحد من ادمانهالنظر فى العلوم والأكوان، وامثاله كثيرون .

وفكرة هذا العالم عنالالوهية تظهر فيها فلسفة وحـــدة الوجود .

وهى فلسفة ندت عن الصواب ، وان تعلق بها بعض القدامى من فلاسفة الهنود ، وسرت عدواها الى التصوف الاسلامى . فشردت به عن الحق ، وعن تعاليم الاسلام .

وافكار اولئك الباحثيـن ، لو ضـــبطت بتعـــاليم الوحى . ومشت فى هدى الشريعة ، لاستقامت معماذكر القرآن الكريم عن الله عز وجل من صفات ، ومانسب الى ذاته العظمى من نعـــوت الجلال والجمال !

وحسب أولئك ــ وان لم يعرفوا الحق كاملا ــ أن لاح منــه بريق فأقروا ولم ينكروا .

ولئن صدقوا ماعرفوا ، فهم أهل للايمان الصحيح الكامل لو أتيحت لهم آياته ويسرت لهم رسالاته ، أىلو أتيحت لهم معرفة الاسلام الصحيح من خلال الكتاب والسنة .

المنكرون لوجود الله

ومع زحمة الوجود بالدلائل المؤيدة لعقيدة الالوهية وانتصاب الشواهد المتكاثرة فى الآفاق ترشد الناس الى رب العالمين ، فان العالم لم يخل من منكرين يجحدون الحق ويكفرون بالله .

وقد استقصينا أقوال هؤلاء فلم نر بها الا الانكار المجرد والعناد السمج .

يقول « بوخنز » عميد العلماء الماديين فى العصر الماضى : «من الممكن ارجاع ظهور الأجرام السماوية وانتشارها وحركاتها الى أصول بسيطة من الممكنات ، فلا يبقى اذن محل للاعتقاد فى قوة خالقة مشخصة » .

ويقول : « ان الانسان محصول المادة وليست له خاصة فكرية على النحو الذى يصوره الروحانيون » .

ويقول ماضيا — فى انكار الروح ، ومصورا العقل الانسانى بصورة مادية — : « ان الكبد والكليتين تفرز مادة مرئية دون أن نعلم نحن بذلك .

أما الحركة الدماغية فلن تكون خارج ارادتنا وادراكنا ،والدماغ يفرز قوة بدل المادة »

ويقول « بروسيه » — مؤيدا هذا التفسير المادى للروح والعقل — : « أن الذكاء والحساسية عمل من أعمال الأجهزة

العصبية كما أن تحويل المأكولات الى دم يندفع فى العروق ، عمل الأجهزة الهضمية والنفسية .. »

وكتبت جريدة طبية مقالةذكرت فيها أن : الفكر تركيب يشبه حمض فورميك ! والتفكير تابع للفوسفور !

والفضيلة والصداقة والشجاعة ماهى الا تيارات كهـــــربية للأعضاء الانسانية .

هذه هى الصورة التى يقدمها الملحدون للانسانية ومعنوياتها ! وهذه هى أدلتهم على أنكار المادة ، وعلى رفض الايمان بالله العلى الكبير .

وقد سميناها أدلة تجوزا . والا فأى أمارة على الفهم الصحيح فى هذا اللغو القبيح ؟

ومتى كان التشكيك والفرض والتوهم أدلة محترمة ؟

انه من المقطوع به عقلا أن العدم لا يتحول الى وجود ولا يخلق وجودا .

فاذا قيل : أن العالم مفتقر فى احداثه الى سبب ، وأن الأحياء محتاجة فى وجودها الى خالق . قيل : بل يجوز أن يتم ذلك من تلقاء نفسه .

واذا كانت حركة المرور فى القاهرة ــ مثلا ــ تتطلب فرقة من الجنود لتنظيمها والا لسرت الفوضى فى أرجائها ، فهل يســـتغرب القول بقدرة منظمة مشرفة على الألوف المؤلفة من الكواكب السيارة فى الفضاء ؟

وهل يعتبر القول بأن المصادفات المحضة هى التى تتولى هذا التنظيم .. هل يعتبر الا لغوا ومجونا ؟

ثم ما هذه السخافات الزاعمة بأن الفضائل والرذائل اهتزازات كهربائية للأعضاء والأجهزة الجسمانية .. لأنه لا روح ــ كمــــا يقولون

يجيب « كميل فلا مريون » متهكما فيقول : ــ « ما معنى افراز القوة .. ولم لا يفرز الدماغ كيلو مترات أو فراسخ ؟

ويقول المشير « أحمد عزت باشا » : « من حيث أنه لا روح ولا نفس ناطقة ، فمن الذى يشعر بما تفرزه الحركة الدماغية ؟ ومن الذى لا يشعر بها ؟ وما معنى كلمة « نحن » التى يستعملها ذلك المتكلم ؟ (يوخنز السابق) .

يبدو أن ذلك الفيلسوف يقر مرغما ــ من قبيل انطــاق الحق له ــ (بأنا) التى ينكرها .

ثم أنهم يقولون : « أن القوة لا تنفصل عن المادة ــ كمايقررون ــ فأين مادة القوة التى يفرزها الدماغ ؟ » .

الحق أن الالحاد الذى يشيع بين طوائف المتحذلقين والمنطعين لا يستند البتة الى ذرة من المعرفة أو التفكير السليم .

استفتاء

نيويورك ــ ر ــ استفتت مجلة ((كوليرز)) المعروفة ، عددا كبيرا من علماءالذرة ، والفلك ، وعلم الأحياء ((البيولوجيا)) والرياضة .

((فأكدوا أن لديهم أدلة وقرائن كثيرة تثبت وجود كائن أعظم ينظم هذا الوجود ، ويرعاه بعنايته ورحمته وعلمه الذى لا حد له)) .

يقول الدكتور « راين » انه ثبت من ابحاثه فى المعــــامل : أن فى الجسم البشرى روحا أو جسما آخر غير منظور .

وقال عالم آخر : « أنه لا يشك فى أن الكائن الأعظم ــ وهو ما تسميه الأديان السماوية « الله » ــ هو الذى يسيطر على الطاقة الذرية وغيرها من الظواهر والقوانين الخارقة فى هذا الوجود » .

نشر هذا التلغراف الذى أذاعه « روتر » على العالم كله . وقد قرأته كغيرى ، وشعرت بعاطفة من السرور تغمرنى ، لأن أولى العلم وأرباب البحث لمسوا ــ ولا أقول عرفوا ــ آثار الحقيقة العليا ، وبدأ ايمانهم بالله يتركز على أساس من التجربة المادية والاحساس النفسى .

أتعرف ما هو الالحاد ؟ : أن يسفه المرء نفسه ، ويركب رأسه، ويغمض عينيه عن كل ما حوله ، ثم يصدر الأحكام جزافا ، لاتخضع لمنطق ، ولا يربطها فكر سليم .

وعندما جاء القرآن الكريم ليأخذ بأيدى الناس الى الحق المبين لم يكلفهم عسرا .

لم يزد أن طلب اليهم فتح أبصارهم على آفاق السماء وفجاج الأرض وخواص الأشياء .

« قل أنظروا ماذا فى السموات والأرض .. »

« أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء » .

« أو لم يتفكروا فى أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى » .

فاذا أرسل المرء نظراته الفاحصة يستقصى بها أنباء الوجود ويستكنه أسرار الحياة ، فسيرجع ــ بعد جولة قريبة ــ بهذه الحقيقية المشرقة اللامعة .

الحقيقة التى أجملتهـــا الآية الكريمـــة : **الله خـــالق كل شىء وهو على كل شىء وكيل . له مقاليد السموات والأرض والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون . قل أفغير الله تامرونى أعبد أيها الجاهلون »** ؟

ان للالحاد شبابا ممسوخا فى بلادنا ، يعرف قشورا من العلم ، ويتعلق بأوهام لا وزن لها عند أولى الألباب .

تراه يتكلم عن الالوهية والدين والوحى فيلوى لسانه بعبارات مشحونة بالغرور والادعاء .

وليس وراءها الا ما يذكرك بقول الله : « **ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ، ثانى عطفه ليضل عـن سبيل الله »**

الى هؤلاء الشباب ممن يظنون العلم طريق الالحاد ، نسوق اليهم نتائج البحوث التى وصل اليها سادتهم عن اصل الحياة .

صفات الله

وصف الله عز وجل نفسه بصفات كثيرة ، من الصعب ادراك حقيقتها على النحو الذى تدرك به أمورنا المعتادة ، بل هـــذا مستحيل !

من أين للتافه أن يعرف كنه العظيم ؟

ان الانسان عاجز عن ادراك حقيقة الوجود المادى الذى يعيش فيه . فكيف يعرف ماوراءه من غيوب .

اذا قيل : أن الله يسمع ، فليس سماعه بأذن كآذاننا ، أو يرى ، **فليس ذلك بعين كاعيننا ، واذا قيل : انه بنى السـماء ،**

فليس على النحو المألوف من بنائنا ، أو يده فوق أيدينـــا ، فليس الوصـف لجارحة كأعضائنا .

والذى نوقن به ابتداء . أن صفات المحدثين وأحوالهم لايجوز أن تنسب الى الله ، فهو ــ سبحانه وتعالى ــ غير مخلوقاته .

وشأن الألوهية أسمى مما تتصـــور الأذهان الكليلة والعقول القاصرة .

وقد وردت فى الوحى الكريم كلمات عن الوجه واليدين والأعين والاستواء على العرش والنزول الى السماء والقرب من العباد ... الخ . حاول كثير من المسلمين استكناه دلالتها واستكشـــاف حقيقتها ، فلم يرجعوا الا بالحيرة . حتى قائلهم :

نهاية اقدام العقـــول عقـــال	وآخر سعى العالمين ضـــلال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا	سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا !
وكم من جبال قد علا شرفاتها	رجال فبادوا والجبال جبال !

ولا غرو .. فان البحث عبث فيما لا يملك المرء وســـــائل الخوض فيه .

ان الكيمائى قد يعرف خواص سائل أو غاز يقلبه تحت يده ويجرى عليه ماشاء من تجارب ، فكيف يجوز للعباد أن يتدخلوا بالبحث النظرى فى شأن الألوهية لينكروا او ليثبتوا ؟ وشأن الألوهية بالنسبة اليهم عزيز المنال والحق يقـــول ــ فى كلامه عن ذاته وصفاته ــ : **((هو الذى انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعـــون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله الا الله ، والراسخون فى العلم يقولون : آمنا به كل من عند ربنا)) .**

وعلى ذلك فكل ماقطعنا بثبوته فى كتاب الله وسنة رسوله مما وصف الله به نفسه وأسنده الى ذاته قبلنـاه على العين والرأس ، لا نتعسف له تأويلا ولا نقصد به تجسيما ولا تشبيها .

***

ولئن كنا نسلك هذا المسلك فى تقديس الذات ونسبة الصفات ، فنحن لا نحب ان نتخذ منه ذريعة لتكفير من قصدوا الى تنزيه الله عن طريق التأويل ؛ وصرف الآثار الواردة الى المجـاز لا الى الحقيقة .

فأن الذين أولوا فعلوا ذلك خشية أن يئول أمر الألوهية الى مثل ما عليه اليهود والنصارى ، من تجسيم وأحوال لا تتفق والتنزيه .

ان التوراة تحكى أن صراعا نشب بين الرب ويعقوب ، لم يفلت منه الرب الا بصعوبة ، وبعد ما قدم ليعقوب لقبه المعـروف « اسرائيل » !!

وكلام الانجيل عن الله يخيل اليك أنه رب أسرة من ولد ووالدة !!

فجنوح المؤولين ــ عندنا ــ الى المجاز ، قد يكون هنالك مايعتذر به عنهم .

بيد أننا لاحظنا أن هذا التنزيه والتأويل والانصراف الدائم عن الحقيقة الى المجاز قد جنى على أصل الايمان لدى جمهور العامة ، وجعل فكرتهم غامضة عن الاله ، لا هو فى السماء ولا فى الأرض ، ليست له يد ، ولا عين ، ولا وجه ، لا يوصف بفرح ولا رحمـة ولا ضحكة ، لا و لا ، مما وصف به نفسه .

والخطة المثلى أن نتقبل ماورد به الشرع ، والا نتكلف علم مالم نطالب بعلمه مما يدق عن الافهام .

وهناك فرق بين أن يحكم العقل باستحالة شيء وبين أن يعلن عجزه عن فهم شيء ، فالعقل يحكم بأن اجتماع النقيضين مستحيل .

فالضوء ــ مثلا ــ لا يكون موجودا وغير موجود فى وقت واحد ولكن العقل الذى يحكم باستحالة هذا ، يعجز عن فهم حقيقةالضوء ما هى ؟ وما كنهها ، وما انتقالها بهذه السرعة الهائلة ؟

وهذا العجز الظاهر لا يمس حقيقة الضوء ، ولا يمس وجودها فعدم علمك بشيء ليس علما بعدم ذلك الشيء .

القــدم

وجود الله سبحانه وتعالى ممتد فى القدم ، بحيث لا يتصور قبله وجود قط ، وما دام كل وجود قد نشأ عنه ، فالله تعالى أسبق منه ، ونحن لا نعرف عن الأول شيئا ، اذ عهدنا بالوجود قد حدث بعد ميلادنا .

عن أبى بن كعب رضى الله عنه : أن المشركين قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم : أنسب لنا ربك . فنزل : ((**قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد**)) .

ان أولئك المشركين نظروا الى الألوهية بعقولهم القاصرة ، وقاسوا وجودها المطلق على وجودها المحدود ، فتوهموا أن له أولا

وليس الأمر كما يتوهمون ، **أن لوجودنا المادى أولا ، لأننا نحس بذلك ، وندركه عن يقين ، ونجزم باستحالة غيره .**
أما الوجود الالهى فقديم لا أول له !

***

ربما استطاع الانسان ادراك أعراض يسيرة فى بيئته المحدودة ، أعراض تمس يومها الحاضر ، أو أمسها القريب ، أو غدها الموشك

وقد يكون من هذه الأغراض المدركة جملـة من المعـــارف النافعة ..

ثم تقف بعد ذلك أشعة بصيرته فلا تستطيع حراكا ولاادراكا.

فاذا كانت تلك حدود قدرته العقلية فى عالم الشهادة، فلاجرم أنه يكون فى عالم الغيب أعجـــز ، وعن فهمه أقصر .

وعقلنا فى قوته المحدودة كبصرنا الذى لا يقرأ الا على أشبار . فاذا ابتعد الخط عنه مسافة لم يميز منه حرفا .

كذلك لا يستطيع العقل أن يدرك الا فى دائرة وجودهالضيقة : **((وما أوتيتم من العلم قليلا))** .

ومن ثم فنحن نؤمن بقدم الذات الالهية وامتداد هذا القدم فى اغوار الأزل الذى لانعرف كنهه .

. . . ذلك وطبيعة الوجود المحدث تقتضى البداية والنهاية . أما من وجوده من ذاته فحقه أسمى من أن يسبقه أو يطرأ عليه عدم .

البقـــاء

والله سبحانه باق أبدا ، أنه ليس جسما فيموت ، ولا مـــادة فتتحلل وتذوّى ، انه الدائم الثابت الذى يصير اليه كل شىء .

((كل شىء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون))

((وتوكل على الحى الذى لايموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيرا)) .

وذوالوجود الخالد المتأبى على الفناء قد يمنح للأخيـــار من عباده الخلود فى جنات النعيم .

فهذا الفضل الممنوح لا يعنى أن بشرا أصبح حقيقا بوصف الباقى والآخر .

فالأمر كما قلنا : أن وجود الله عز وجل واجب له من ذاته لا ينفك عنه أبدا .

أما ما عداه فهو صفر ان لم تدركه نعمة الوجود المفاض عليـــه من الخالق جل علاه .

القدرة

العالم وما فيه من سكون وحركة ، أثر لقدرة الله سبحانه وتعالى . وليست لشىء ما ، قدرة ذاتية يســـتمدها من طبيعته المجردة .

فاذا رأيت البذور تشق التربة وتنمو رويدا رويدا لتستوى على سوقها فذلك بقدرة الله . .

واذا رأيت الأمواج تلطم الشطآن ، رائحة غـادية لا تهدأ حتى تثور ، فذلك بقدرة الله .

لا تحسبن شيئا فى الكون قادرا بنفسه .

فكما ان القدرة أبدعته اولا من عدم ، فقد أودعت فيه من أسرارها وبثت فيه من آثارها ، ما يدل عليها .

وبعض الجاحدين من علماء الطبيعة يردون ما يقع تحت أبصارهم من هذه الدلائل الباهرة الى مجهول محض . أو قوى كامنة فى المواد والعناصر المختلفة .

وهذا تخريف شائن ، وتسفيه للعقل ، ومغالطة للواقع .

ومن المؤسف أن تكون السمة الغالبة على كافة العلوم الطبيعية أنها تقوم على البحث المجرد فى مادة الوجود ، وتعرف حقيقة العلاقات والتطورات والروابط بين شتى العناصر .

وقلما تلتفت الى شيء بعد ذلك ، اذا وقفت الى نتائج معينة في موضوع بحثها .

وتنتهى أغلب هذه العلوم بمن يدرسونها الى علم جيـــد بالمخلوقات وجهل مطبق بخالقها ، لأنه لم ترد أليه اشارة ما فى غضون البحوث الكثيرة المتشعبة .

وهذه ــ لا ريب ــ خيانة علمية، فان دراسة هذا الكون العظيم تنفذ الى صميم الفكر الحر بأشعة من الهدى والايمان ، وتجعل الانسان يتطلع ــ ملء الفؤاد ــ بعواطف الرهبة والرغبة ــ الى هذا الخالق العظيم .

ان القدرة في مجالها الواسع لايعييها شيء البتة ، وآثارهـا التى نشهدها تدل على طاقة لا تقف عند حدود .

((وما كان الله ليعجزه من شيء فى السموات ولا فى الأرض انه كان عليما قديرا)) .

الارادة

والله ــ سبحانه وتعالى ــ فيما خلق وفيما يخلق ، وفيما دبر ويدبر به شئون العالم ــ كان يصوغ الكائنات فى الأوضـــاع التى يريدها ، ويضفى عليها الأوصاف التى يشـــاؤها ، ويبرزها فى الأوقات التى يختارها ، لا يستكرهه أحد على شيء من ذلك كله .

وما ترى فى الأرض والسماء من تنوع فى الوجود ، وتميز فى السمات هو مظهر الارادة الحرة فى كافة تعلقاتها .

فما أوجده الله فى هذا العصر كان من حقه الكامل أن يوجده فى الأيام الخالية .

وما جعله الله كوكبا متألقا كان يستطيع جعله جندلا باردا .

وتوزيع الصفات والأحجام والأحوال فى أنحاء الكون العريض ليس الا المشيئة العليا لله عز وجل .

ولو أراد أن يخلق العالم الذى نعيش فيه على نحو آخر فى قوانينه وأنظمته وأحيائه وأشيائه كلها لفعل .

وانك لترى انطلاق المشيئة دون أى عائق فى اخراجها الأصناف المختلفة من الأصل الواحد !

فالحقول المتجاورة تختلف محصولاتها كما وكيفا .

والبذور المتجانسة تتفاوت فروعها حلاوة وحموضة ولونا ووزنا فى النبات ، ولؤما ونبلا وذكاء وبلادة فى الانسان والحيوان .

((وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون)) .

وقديما استدل الأئمة على عظمة الارادة — فى هذا المعنى — بالنحل يأكل من ورق الشجر فيحوله شهدا ؛ ويأكل منه الدود فيحوله حريرا ؛ وتأكل منه أطيار أخرى فتحوله قذرا .

واذا اتجهت الارادة الى شىء فيستحيل أن يتخلف أثرها .

((ان ربك فعال لما يريد)) ((انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون)) .

فأرادة الله نافذة فى السماء والأرض ، لاراد لها ولا معقب عليها **« وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة » .**

الحيــاة

مراتب الوجود تختلف رفعة وضعة .

فالجماد انزل رتبة من النبات ، والحيوان أعلى درجـــــة من النبات والوجود الانسانى ارقى من أنواع الوجود الأخرى .

واتصاف الله سبحانه وتعالى بالحياة : معناه ان وجوده بلغ الغاية فى عظمته وآثاره ، فهو موجود ، ويعرف أنه موجود ، وهو يهب الوجود لغيره عن ادراك واختيار ، ومن ثم فهو حى .

. ان بعض الفلاسفة الذين يقولون بأن العالم معلول فى وجوده بغيره ، ويسمون الخالق علة العلل أو مبدأ الوجود ، يعطون صورة مبهمة عن هذا الوجود الأعلى .

حتى لتحسب أن صدور الكائنات عن بارئها الأعظم يشـــــبه التفاعلات الكيماوية التى لا روح فيها ولا حياة معها ، وهذا ضلال .

فدلائل الحياة الكاملة تنبثق من الذات العليا انبثاقا يتضاءل امامه كل ما نعرف من صنوف الحياة ودرجاتها المختلفة .

أطلق لخيالك العنان ، وتصور كل ما تنتجه الأيدى « الحية » من أعمال ، وما تنشئه العقول « الحية » من أفكار ، وما تهتز به الأفئدة **« الحية » من مشاعر .**

واجعل هذا الخيال يضم أشتات ذلك من مشارق الأرض ومغاربها

ويستجمع ما حدث فى الأعصار الخالية وما يحدث اليوم وما سوف يحدث غدا ، الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ان مظاهر هذه الحياة المفعمة بالقوة والانتاج ، لا تعد شيئا مذكورا بالنسبة الى الحياة الالهيةالواسعة ، بل هى أثر ضئيل من أعمال الحى الذى لا يموت ، الحى الذى ينفخ من روحه فى الموات فيهتز ، وفى الجماد فيتحرك .

((ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى ذلكم الله فأنى تؤفكون)) ((الله لا اله الا هو الحى القيوم)).

العلم

الله تعالى عليم بكل شىء ، لم يسبق معرفته جهل ، ولا يعدو عليها نسيان ولا يمكن أن تخالف الواقع .

وعلمه محيط بالأمس واليوم والغد ، بالظاهر والباطن ، بالدنيا والآخرة .

((قال فما بال القرون الأولى ، قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى)) .

انه علم يشرق على كل شىء ، فيجلى بواطنه وخوافيه ، ويكشف بداياته ونهاياته ، ويكتنه ذاته وصفاته .

فالمشهود والغيب لديه سواء ، والقريب والبعيد والقاصى والدانى .

((اليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمرات من أكمامهاوماتحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه)) .

والعلم الالهى يشرف على كل شىء اشرافا تاما ، ويهيمن على أطوار الموجودات ــ ما يحس منها وما يتوهم ــ هيمنة كاملة .

فعدد ما فى صحارى الأرض من رمال ، وعدد ما فى بحار الدنيا من قطرات وعدد مافى الأشجار من ورقات ، وعدد مافى الاغصان من ثمار ، ومافى السنابل من حبوب ، ومافى رؤوس البشر وجلودهم من شعر .

ثم ما يمكن أن يطرأ على هذه الأعداد الكثيرة من أحوال شتى . وماتحتاجه فى وجودها من قوة متجددة ، ومايعتريها من أوصاف متغايرة ذلك كله يستوعبه شعاع واحد من أشعة العلم التى لاتدرى عقولنا من كنهها الا قليلا : **((واسروا قولكم أو اجهروا به انه عليم بذات الصدور . ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير))** .

((وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم مافى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين)) .

السمع

عن عائشة رضى الله عنها : ((الحمد لله الذى وسع سمعه الأصوات)) لقد جاءت المجادلة ((خولة)) الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جانب البيت تحدثه ما أسمع ما تقول ، فأنزل الله عز وجل :

((لقد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله والله يسمع تحاوركما . ان الله سميع بصير)) .

أجل فما من كلام يدور بين الناس ، أو حديث يتجاذبون أطرافه الا سبق وقعه الى سمع الرحمن ، جل وعلا ، قبل أى شىء .

ولا تحسبن أن الله حين يسمع نجوى جماعة يشغله ذلك عن سماع قوم آخرين .

كلا ، فما يشغله شأن عن شأن ، وما تغيب عنه همسة وسط الضجيج ، **ولا تشتبه عليه لغة على اختلاف الألسنة .**

انك ــ بالوسائل التى هدى اليها البشر ــ تجلس فى المشرق فتنقل اليك محطات الاذاعة الأغانى والأحاديث من المغرب ، طاوية الأبعاد الشاسعة .

فما أدرانا بما وراء ذلك من أسرار الكون .

وما أيسر ــ فى منطق العقل ــ أن يشرف رب الكون بسمعه على كل حركة وسكنة فى الوجود تنبعث من مصدرها القريب ، ويسمع صوتها ويبصر وضعها ! . ان ربك يسمع كل صوت .

البــصر

وكما أن الله يسمع كل شيء ، فهو يشهد كل شيء ، ورؤيته تنظر فى أعماق الظلمات فتستشف كوامنها .

فما هو بحاجة الى ضياء يبصر به الخفى ، أو مكبر يعظم به الدقيق .

اذا كنت ثالث ثلاثة ، فاعلم أن هناك رابعا يبصر ما تفعلون ، ويسمع ما تقولون .

((له غيب السموات والأرض ابصر به وأسمع . مالهم من دونه من ولى ولا يشرك فى حكمه أحدا))

عندما أرسل الله موسى وهارون الى فرعون ، توجسا من طغيانه وقالا : « ربنا اننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى ، قال لا تخافا انني معكما أسمع وأرى » .

انه معهما ، ومع كل كائن ، من بدء الخلق الى قيام الساعة ، وما قبل ذلك وما بعد ذلك ، يسمع ويرى .

وهو — سبحانه — قد ركب في وجوهنا هذه العيون التي نقرأ بها ونكتب ، ونشهد بها مانشاء .

ولكن ما قيمة رؤيتنا هذه الى جانب الرؤية الالهية المحيطة الشاملة .

لو أن كل ذي بصر انتظموا صفاً يستغرق محيط الأرض ، ثم اجتهدوا في رؤية ما حولهم ، ما أبصروا شيئا يذكر الى جانب الرؤية الالهية التي تستوعب جميع المدركات ، من جميع الجهات ، في وقت واحد .

سواء فيها المستخفي بالليل والسارب بالنهار ، الخالي وحده ، والبارز للناس .

« وماتكون في شأن وماتتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه .. » .

والاحسان بهذه الحقيقة جزء من الدين ، بل هو قمته العليا : « الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فأنه يراك »

الكلام

هو وسيلة للابانة عما في النفس من معارف ونصائح ورغبات شتى ، وتفهم ذلك للآخرين .

ولا شك أن الله سبحانه وتعالى مستحق لهذا الوصف » .

فقد عهد الى الوف من ملائكته ، بالقيام على شئون الأحياء والامانة فى انحاء العالم العريض ، كما عهد الى الوف والوف منهم بشئون شتى ، لا ندرى منها الا القليل .

وهذا التسخير الدائم خاضع لأوامر الله التى يتكلم بها ، خلقا ورزقا ورفعا وخفضا ، ومحوا واثباتا وتقديرا وتدبيرا .. الخ .

ما حفل به علم الله فوق الحصر ، وما يدل على هذا العلم من كلمات لانهاية له ــ كذلك .

أن أحدنا ــ فى مباشرة أعماله المحدودة ــ يحتاج الى قاموس من الالفاظ فما ظنك برب العالمين ، وهو يحكم ملكوته الواسع العظيم ؟

ألا ترى أن كلامه من السعة والاستبحار على النحو الذى يقول الله تعالى فيه :

« ولو ان مافى الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر مانفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم » .

« قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا » .

وكتب الله التى أنزلها على أنبيائه من مظاهر اتصافه جل شأنه بـ « الكلام » .

وقد كلم الله موسى تكليما وسوف يكلم كثيرا من عباده يوم القيامه وأرسل الروح الأمين بختام الوحى الى صاحب الرسالة العظمى .

فكان القرآن الكلمة الأخيرة فى هدايات الله لعباده .

« وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السـميع العليم » .

أما حقيقة الكلام ـ كصفة الله ـ فلا نقصر فيها ولا نطيل ، لأننا دون هذا المجال بكثير .

بيد أننا نجزم بأن الكلام الالهى ليس الفاظا تصـنعها الشفتان واللسان ، وتضبطهاالرئتان والحنجرة والأسنان ، فذاك شـأن الانسان لا وصف الرحمن .

النبــوات

اذا كان الفكر الانساني هو اللجوء الى الحدس والتخمين في تعرف الحقائق العليا ، والاهتداء الى الصواب مرة ، والوقوع في الخطأ ألف مرة .

فأن الفلاسفة هم بلا نزاع قادة الفكر الانســانى .

واذا كان الفكر الانساني هو الوصـــــول الى تلك الحقائق من أقرب طريق ، والتقاطها ناضجة واضحة ، ثم تكريس الوقت للانتفاع بها فان الأنبياء من غير جدل هم القادة الاصلاء للفكر الانســـانى .

ان الرجال الذين اختارهم الله سفراء الى خلقه يؤدون رسالات عظيمة الشأن ، فهم يبلغون عن الله امورا لايستغنى الناس قاطبة عن ذرة منها : العامة والخاصة سواء فى حاجتهم الى معرفة ماانزل الله لهم على السنة اولئك المرسلين الكرام . نعم ربما وصل أولوا النهى الى بعض الحقائق التى ينقلها النبيون عن رب العالمين ، غير أن وصولهم الى جملة الحقائق التى لا بد منها لصلاح الناس مستحيل .

والقليل الذى يوفقون الى فقهه يعبرون اليه جسورا من التجارب والمتاعب تستغرق السنين .

أما الاستماع الى الرسل والتلقى عنهم ، فهــو يختصر تلك المتاعب الباطلة ، والتجارب الفاشلة ، ويقف الناس وجها لوجه امام

الحق الذى اليه يفتقرون ، ذاك يبلغونه وحـــدهم بعد لأى أما مالا يدركونه وحدهم أبدا ، فأن الرسل تلقيه بين الايدى جنى قريبا ودواء ميسرا . وما على الناس بعد الظفر به ، الا أن يعملوا به . ويمشوا فى حياتهم على سناه .

لقد كان من رحمة الله بعباده ان بعث اليهم بأنبيائه ، وأن تعهد شتى الأعصار والأمطار بما أوتوا من تربية وحكمة .

والقرآن الكريم يعتبر كتاب النبوات القديمة كلها .

وفى صحائفه المصونة كل مانزل به الوحى لهداية البشر ، واقامة مصالحهم فى المعاش والمعاد .

وهو الوثيقة العلميـــة الباقية لاثبات نبـوة مـوسى وعيسى وغيرهما .

فان الأسانيد الأخرى لا يعول عليها فى وجود أولئك الأنبياء. فقد ذكر القران اسماء عدد كبير من الانبيـــاء الذين تنزل عليهم الوحى وكلفهم بالبيان عنه ، ثم قال لخاتم المرسلين : محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم :

((انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده .. واوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان ، وآتينا داود زبورا ، ورسـلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك . وكلم الله موسى تكليما . رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما)) .

وقد كان الأنبياء نماذج جيدة فى التحدث عن الله بالسنتهم ، وكانوا قبل ذلك وبعده ، نماذج أجود فى جذب الناس الى الله بطيب

أنفسهم ، ونقاء معدنهم ، وصفاء سيرتهم ووصولهم فى مدارج الكمال الانسانى الى ذروة تزرع الاعجاب فى القلوب ، وتذرالاتباع عشاقا لشمائلهم . فهم يضحون تحت أقدامهم بالنفس والنفيس عن رغبة عميقة ، وعن رضا كبير .

والمرسلون جميعا من هذا الطراز السامى وان كان محمد بن عبد الله خاتم النبيين قد أوتى فى هذا المضمار حظا من المجادة والشموخ ، لا يعرف لنبى من قبل .

ذلك لأن الخصائص العظيمة التى توزعت عليهم تجمعت فيه ، والحكم الكثيرة التى نطقوا بها لخصت فى كتابه .

فمن اراد اتباع عيسى فعليه بالقرآن .

ومتبع هذا أو ذاك لايسعه الا الايمان بمحمد وما جاء به محمد صلى الله عليه وعلى سائر اخوانه الأنبياء

الـوحـى

والوحى الذى تشرق به المعـرفة على قلوب الأنبيـاء : أنواع ومراتب : يبدأ بالرؤيا الصالحة فى النوم .

ورؤيا الانبياء ليست من اضغاث الاحلام التى تترجم بهـا النفس عن رغباتهم المكبوته فى صور مهوشة او متقطعة كما يحدث لجماهير الناس . ان الكمال البشرى الذى وصل اليه النبيون يجعل قلوبهم يقظة ولو نامت أبدانهم !

وأفئدة الأنبياء كأجهزة الاستقبال المعدة لالتقاط الأنبــــاء في كل حين ، وكهرباؤها المتألقة تسجل ما يقذف الملك فيها ثم لا تلبث تذيعه على الناس أجمعين .

وكانت الرؤيا الصادقة أول مطالع الوحي في حيـــاة محمــد صاحب الرسالة العظمى :

« وأول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح » . ومن الوحي عن طريق الرؤيا حدثت قصة اسماعيل ونزل الأمر بذبحه

« فلما بلغ معه السعي قال يا بني : اني أرى في المنام أني أذبحك ، فانظر ماذا ترى ؟ قال : يا أبت افعل ما تؤمر » :

وقد يكون الوحي الهاما في اليقظة بوساطة الملك ، ينضح به المعنى على قلب النبي فيتكلم الحق .

وفي سنة النبي صلى الله عليه وسلم أمثلة كثيرة لهذا الضرب من الالهام ، سواء صرح بهذه الوساطة كما في حديث : « هذا رسول رب العالمين جبريل نفث في روعي أنه لا تموت نفس حتى تستكمل رزقها وان أبطأ عنها ، فاتقوا الله واجملوا في الطلب » .

أو طوى ذكر الملك وأرسل الحديث ارســـالا كما في سنن أخرى ، **وقد نزل القرآن كوحي بألفاظه ومعانيه جميعا** ، فعلم منه الرسول مالم يكن يعلم ، وكان حظ جبريل في ذلك مجرد النقل من لدن الخبير البصير .

« نزل به الروح الأمين ، على قلبــك لتكـــون من المنذرين ، بلسان عربي مبين » .

وقد ينزل الوحي بتكليم الله لعبده مباشرة ومن غير وســـاطة كما تم لموسى .

« فلما أتاها نودى من شاطىء الواد الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى : انى أنا الله رب العالمين ، وأن الق عصاك » .

بيد أن تكليم الله لأنبيائه أمر لاندرى كنهه ، وليس على النحو الذى نألفه بين المتخاطبين من تكاشف ومشافهة . بل كما قال الله تعالى :

« وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا ، فيوحى باذنه ما يشاء انه عليم حكيم ، وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ، ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا ، وانك لتهدى الى صراط مستقيم » .

والتصديق بمبدأ الوحى ليس مما يتعاظم على العقول ادراكه وشبه الماديين حوله تتساقط من تلقاء نفسها ، مادمنا قد اعترفنا بأن الله الحق ، ووجوده فوق الريب ، وأن له جل شأنه أن يصطفى من عباده من يبلغ عنه مراده ، ومن يتعهد به الأمم الشاردة . ويخرجها من الظلمات الى النور !

حاجة العالم للرسل

وحاجة العالم الى الرسل ماسة ، فلو تركت أزمة الفكر الانسانى للاجتهاد المحض ، لضل الناس رشدهم ، ولما اتفقوا على حقيقة واحدة تصلح حالهم ومآلهم .

ونحن ننظر فى تاريخ الأرض القريب والبعيد . فلا نجد مثابة تفزع اليها الشعوب . وتلتمس فى ظلالها الخير والبركة ، الاتعاليم الأنبياء !

هذه التعاليم منها ما يعجز العقل عن ابتداعه لوترك وحده !

ومنها ما يمكن أن يصل اليه بعد لأى وتجارب مريرة ، ومع ذلك يكون تصوره له غامضا ، وفكرته عنه منقوصة .

ومن ثم فان بعثة الرسل كانت ضرورة انسانية لتجنيب العالم متاعب الضرب فى بيداء طامسة .

وقد أدى الرسل واجبهم فى قيادة الفكر والقلب ، وورثوا الأجيال المتعاقبة حقائق الايمان بالله ، سهلة غضة ، لا تحس وأنت تتناولها من أيديهم الطاهرة ، بهذا الكلال العقلى العنت الذى يصاحب دائما أفكار الفلاسفة فى تصويرهم لأسرار الوجود .

وكما عرفنا عن طريق الرسل مبدأ الايمان بالله ، عرفنا كذلك الايمان باليوم الاخر وما يسبقه ويلحقه من حساب وثواب وعقاب .

عرفنا ذلك على جهة اليقين الجازم .

ولولا بلاغ الوحى . لعجز العقل المجرد عن فهم النهاية المرتقبة لعالمنا الزاخر .

وظيفة الرسل

وليست وظيفة الرسل مقصورة على هذا الارشاد العقلى الى حقائق الحياة !

بل انها تمتد الى تربية الأصحاب والاتباع على هذه المبادىء . والتربية كالذوق شىء ليس فى الكتب .

انها ليست حشو الأذهان بالمعلومات ، ولا قيادة الحياة بالأوامر الجافة .

بل أن التربية الدينية التى تولاها الأنبياء ، وكتبوا بها صحائف فى التاريخ ، تقوم على أحداث تغيير نفسانى عميق ، يشبه تغيير الطين بعد نفخ الروح فيه .

ووظيفة الرسالة تقوم على اسداء العون والنصح للفرد والجماعة فى كل ناحية !

فهو يسكب من طهارة قلبه على أوضار القلوب فيغسلها ، وهو يشعل من تألق عقله الأفكار الخابية فيضيئها ، ثم يبعثهـا هى الأخرى لتضىء وتهدى .

العصمة

حياة الأنبياء تحلق فى مستوى من الكمال لا تهبط عنه أبدا .

ان مقام الاحسان ــ وهو آخر ما يصل اليه الناس بعد الجهد والمران ــ هو المرتبة الدنيا للأفق الذى يعيش الأنبياء فيه ، اذ يستحيل فى حقهم أن يسقطوا دونه .

وقد قرر علماء المسلمين أن العصمة واجبة لرسل الله كافة ، فلا يليق أن تصدر عن أحدهم كبيرة لا قبل البعثة ولا بعدها ، ولا تصدر من أحدهم صغيرة تخل بالمروءة أو تسقط الاعتبار .

وقد تقع منهم أخطاء يعاتبون من الله عليها ، ويوفقون الى الصواب فيها .

ولكن هذه الأخطاء لا تتصل بأمور اعتقادية ، أو خلقية مما يعد الوقوع فيه أمرا شائنا .

بل مكان ذلك الأمور التقديرية التى تتفاوت فيها الأنظار عادة من شئون الدنيا ، وسياسات الأمم .

وقد يعتبر الأنبياء أنفسهم مقصرين فى حق الله ، لأنهم أعرف الناس به ، وبجلال ذاته ، وعظمة حقوقه على عباده ، وبقصور الهمم مهما بذلت من الوفاء بما ينبغى له .

واذا كانوا يعدون ذلك ذنوبا تتطلب الاستغفار ، فليس استغفار الأنبياء عن مثل ما نقارف من خطايا ، أو نرتكب من سيئات .

المعجزة

من حق الناس أن يسألوا كل رجل يقول : انه مرسل من عند الله ، ما دليلك على صدق قولك ؟

فاذا قدم لهم الدليل المقنع على صحة رسالته قبلوه واستمعوا له . وقد جاء صالح الى ثمود يخبرهم أنه نبى من عند الله ، ثم يصيح فيهم :

((فاتقوا الله وأطيعون ، ولا تطيعوا أمر المسرفين ، الذين يفسدون فى الأرض ولا يصلحون)) .

ولكن ثمود ردوا هذا النصح وطالبوا صالحا بالبرهان على أنه ليس شخصا عاديا .

((قالوا انما أنت من المسحرين ، ما أنت الا بشر مثلنا ، فأت بآية ان كنت من الصادقين . قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ، ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم)) .

فكان طلب ثمود معقولا .

ولذلك جاءت الاجابةسريعة ، وكانت الطريقة التى وجدت وعاشت بها هذه الناقة خارقة لما تعارف عليه القوم ، ودل محياها على انه أثر لقدرة عليا لا لقدرة الناس المعتادة .

وهذا النوع من الاستدلال يقوم على تفهيم الناس أن الشخص الذى يحدثهم لا يمثل نفسه ، ولكن يمثل رب الأرض والسماء .

وقد فزع موسى الى هذا الدليل لما كذبه فرعون فى دعواه أنه مرسل من رب العالمين ، وتهدده . قال :

« لئن اتخذت الها غيرى لأجعلنك من المسجونين ، قال : أولو جئتك بشىء مبين قال : فأت به أن كنت من الصادقين ، فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين ، ونزع يده فاذا هى بيضاء للناظرين » .

وكذلك صنع عيسى عليه السلام عندما عرض نفسه على بنى اسرائيل فنبأهم أنه رسول من عند الله تعالى ، ثم سرد أدلته على رسالته .

« انى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً باذن الله ، وأبرىء الأكمه والأبرص وأحيى الموتى باذن الله ، وأنبئكم بما تأكلون وماتدخرون فى بيوتكم ، ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين . »

وقد كان التعويل فى العصور الأولى على الخوارق المادية فحسب ، أما ما تضمنته الأديان من حقائق فكانت منزلته ثانوية .

حتى جاء الاسلام ، فغض من شأن الاعجاز المادى ، ونوه بالاعجاز العقلى والقيم المعنوية للرسالات ، وقرر الى جانب ذلك ان الخوارق التى دعمت بها الديانات القديمة لم تمنع التكذيب بها أولا فلا معنى لطلب التصديق بها أخيرا .

« وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الأولون » .

القـــــرآن

ولذلك تقرر أن تكون **المعجزة الكبرى لمحمد** صلوات الله وسلامه عليه **هى هذا القرآن الكريم .**

فيه كان التحدى ، وعليه كان الرسول يعتمد فى سيرته مع خصومه ، وأصحابه طول حياته .

ومن بعده ظل القرآن كتاب الاسلام الناطق بدعوته وحجته معا ..

الا أن الحكمة الالهية اقتضت أن تبث فى طريق الرسول أنواعا من الخوارق المادية التى أيد الله بها النبيين الأولين .

ولكن الدرجة الأولى فى هذه المعجزات كانت للقرآن الكريم .

النبوة والعبقرية

لئن كانت العبقرية امتدادا فى موهبة واحدة أو فى جملة مواهب ، فالنبوة امتداد فى المواهب كلها ، واكتمال عقلى وعاطفى وبدنى وعصمة من الدنايا ورسوخ فى الفضائل ، وعراقة فى النبل والفضل ؟

هم الرجال المصابيح الذين هم
كأنهم من نجوم حيـــة صـــنعوا
أخلاقهم نورهم من أى ناحيـــة
أقبلت تنظر فى أخلاقهم سطعوا

فالذين يرشحون للنبوة يصطفون لها اصطفاء ، قلوب نقيـــة تربطها بالملأ الأعلى أواصر الطهر والصفاء ، وعقول حصيفة ناضجة ، لاتنخدع عن حقائق الأشياء ، وأجساد مبراة من العلل الخبيثة ، والأمراض المشوهة ، وصلة بالناس قوامها الخـــير والبر . ثم أن الرسل أمناء على الوحى السماوى ، والهداية الاسلامية .

درجـــات الرسل

وأقدار الرسل تتفاوت سناء وسموا .

فالرسول فى قبيلة محدودة أفضل منه الرسول لمدينة فيها مائة الف أو يزيد ، وأفضل من هذا الرسول لشعب بأسره ، وصاحب الكتاب المستقل أفضل ممن يحكم بشريعة سابقة !

ولا نزال نرقى فى مراتب العظمة ، ولا نزال نحلق نحو القمة . ولا نزال نقطع أشواطا بعد أشواط فى مدارج الكمال البشرى حتى نصل الى مستوى دونه تنحسر ابصار العباقرة مهما طمحت وتتطامن عنده أقدار الأنبياء مهما عظمت ، لنجد صاحب الرسالة العظمى الى خلق الله قاطبة ، ملتقى الفضائل المشرقة ، ومظهر المثل العليا التى صورتها الخيالات ، ثم صاغها الله انسانا يمشى على الأرض مطمئنا . **ذلكم هو محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وذلكم هو منزله بين عباقرة الأرض وأمناء الوحى .**

كيف ترقى رقيك الأنبياء   ياســـماء ما طاولتها سماء

ان الله عز وجل جمع فى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من شارات السيادة والنبالة ماتفرق فى النبيين من قبل .

ولقد ذكر الله اسماء ثمانية عشر نبيا فيهم أولوالعزم وأصحاب الرسالات الأولى ثم قال :

((أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة ، فأن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين ، اولئك الذين هدى الله فبهداهم أقتده)) .

فمبلغ العــلم فيه أنه بشر . وأنه خير خــلق الله كلهم

الايمان بالنبوات كلهــا

جعل الله عز وجل التصديق برسله كلهم ركنــا فى الدين ، وقرن أسماءهم بذاته المقدسة ، فأصبح الايمان بهم متمماللايمان به.
((آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله)) .

والايمان بمحمد رسول الله هو الشطر الثانى من شــــهادة الاسلام ، لا يصح ايمان الا به .

والارتباط بالرسل ليس تعلقا بأشخاصهم من الناحية البشرية البحته ، بل هو ارتباط بالوحى الذى شرفوا به ، والاسوة التى تؤخذ منهم . ومن ثم يقول الرسول الكريم :

((لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به)) .

ثم آن الله لما ضم الايمان برسله الى الايمان به ، جعل الكفــر بواحد منهم كفرا به جل شأنه ، وكفرا بهم جميعا :

« ان الذين يكفرون بالله ورسله ، ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله و يقولون : نؤمن ببعض ، ونكفر ببعض ، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا ، أولئك هم الكافرون حقا ، واعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم ، أولئك سوف يؤتيهم اجورهم ، وكان الله غفورا رحيما » .

ومحمد صلى الله عليه وسلم خاتم المرسلين ، أكمل الله به صرح النبوات ، واتم به حقيقة الرسالات ؛

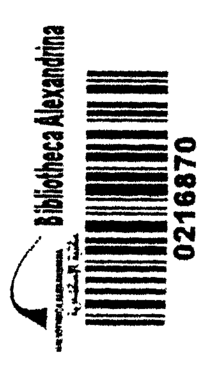
« ان مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه واجمله ، الا موضع لبنة من زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون ويتعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ فأنا اللبنة وانا خاتم النبيين » .

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة الله المهداة الى الخلق اجمعين .

المؤلف

رقم الايداع ١٩٩١/٢٩٦٧

مطابع شركة الاعلانات الشرقية



مطابع الأوفست
بشركة الإعلانات الشرقية